

الفاعلية الإبداعية في القنوات الإعلامية العربية "مقاربة سمائية تداولية للرؤية والمنهج والمقصد"

بقلم الأستاذ العيد علاوي - المركز الجامعي الطارف - الجزائر

ملخص الدراسة:

حظيت وسائل الإعلام وخصوصا المرئية منها - في الوقت الراهن - بمكانة كبرى في المجتمع العربي، وصارت أحد الأشياء الأساسية في العصر الحديث؛ عصر التكنولوجيا والمعلومات؛ عصر ثقافة الصورة والاتصال عن بعد والاتصال التفاعلي. وتأسيسا على هذا، وانطلاقا من الخصائص التي يتميز بها التلفزيون (المرناة) عن باقي وسائل الإعلام الأخرى؛ إذ يجمع بين الصوت والصورة المتحركة المتعددة الأحجام بالإضافة إلى الألوان. وانطلاقا من البعد الحجاجي الإقناعي المائل في هذه الوسيلة، وكذا من الدور الأساس الذي تقوم به في تغيير المعرفة والسلوك والمواقف. تأتي هذه الدراسة لتحليل رؤية القنوات الفضائية الإسلامية ومنهجها وبيان مقاصد القائمين عليها، وذلك من خلال قراءة تسمياتها وشاراتها، واستنطاق ألوانها وصورها وتحليل شعاراتها، وراجعها معتمدا في ذلك على المنهج السيميائي والتداولي.

تمهيد:

لقد عدا الإعلام بمختلف وسائله ومستوياته أداة اتصال أساسية لا يمكن الاستغناء عنها أو تهيمش دورها بالنسبة لكافة المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء في أوقات الرخاء والاستقرار وفي أوقات الأزمات والمنازعات. وعلى ضوء متغيرات العصر ومع التقدم الهائل لوسائل الإعلام كما ونيفا، زادت وتضاعفت الوظائف المرتقبة من الإعلام ووسائله⁽¹⁾، ولقيت على كاهله مسؤولية كبيرة في حل الأزمات المتداخلة والمعقدة من منطلق أنه - الإعلام - يملو إرادة النشئة والتقدم إن أحسن استغلاله، ويحصل العكس إن أسيء التعامل به⁽²⁾، والتلفزيون (المرناة) أحد وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري وكثرها اتساعا وانتشارا، لما له من خصائص ذاتية في الاعتماد على الصورة المتحركة الملونة المتعددة الأحجام والزوايا والصوت، وتنوع برامج وحمية ظروف المشاهدة العائلية في معظم الأحيان...⁽³⁾، ولما يقوم به من وظائف حيوية في التعليم والثقافة والإعلام ونشر المعلومات والمعارف والمفاهيم الفكرية والممارسات الاجتماعية والنفسية المؤثرة في السلوك الفردي والجماعي للمجتمعات الحديثة من خلال المعاني والدلالات التي تحملها البرامج التي أعدت لإثارة المشاعر والعواطف والأحاسيس التي تؤثر في مواقف الأفراد...⁽⁴⁾، وبهذا فالتلفزيون يتميز عن غيره من وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى بقوة التأثير الناتجة عن تفرد بعض الخصائص التي تؤثر في المشاهد وتجذبه من خلال تقديمه الصورة والصوت معا في آن واحد⁽⁵⁾. وقد أكد السيد روبرت فريزر المدير السابق لهيئة التلفزيون المستقلة في بريطانيا أن التلفزيون يعمل بمستويين للاتصال⁽⁶⁾:

الأول: عقلي يدور حول المعرفة وتكوين الآراء المختلفة والمتبادلة في المجتمع.

والمستوى الآخر: عاطفي يدور حول العواطف والمشاعر والأحاسيس؛ إذ يتولد الشعور بالعطف على الآخرين والتعاطف معهم عند مشاهدة الأحداث والمواقف الحياتية المؤثرة التي يتعرضون لها.

ومن يلقي نظرة عابرة على مجتمعاتنا يدرك أن التلفزيون يحدث تأثيرا مباشرا بمجرد أن تصل رسالته إلى الجمهور، ولعل هذا ما يؤكد قول من شبهوا دور هذه الوسيلة بالحقنة التي تؤخذ تحت الجلد، فتكون سريعة المفعول مضمونة الأثر⁽⁷⁾، وقريب من هذا

قول أحد مفكري الإسلام الذي يبين قيمة القنوات الفضائية قائلا: إن أي قناة إسلامية هي أعظم من أي جامعة. وشفع هذا بقول أحد زعماء العرب الذي نفى أن تكون الصواريخ هي عابرات القارات مؤكدا أن الفضائيات هي عابرات القارات، وتوج قوله هذا بقول سستالين القائل: أعطوني شاشة أعير بها وجه العالم⁽⁸⁾. ويلتقي هذا القول مع قول مختار لويس الذي حلل خطورة دور أجهزة الإعلام على الثقافة قائلا: "إنه يمكن استعمالها للبناء كما يمكن استعمالها للتهديم"⁽⁹⁾.

وقد خلّص الدارسون إلى أن من يتحكم بهذه الوسيلة - التلفزيون - من خلال إستراتيجية علمية واضحة وهادفة وشاملة قد يتحكم بالعالم بشكل أو بآخر من خلال السيطرة على عقول الجماهير واقناعهم بأهمية ومصداقية ما يروج له⁽¹⁰⁾.

خارطة القنوات الفضائية العربية قراءة في الرؤى والمنهج والفاعلية الإبداعية:

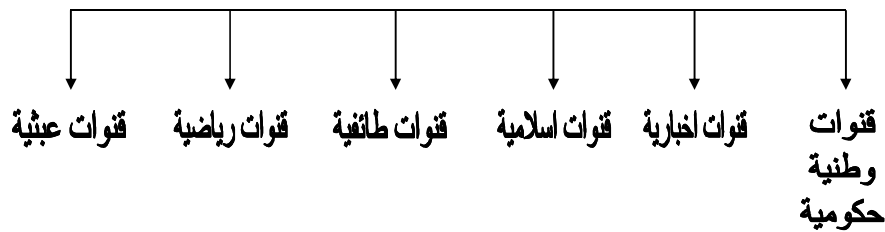
لقد ذهب أحد الدارسين إلى أن الفلاسفة كانوا أكثر حدسا بأهمية الرؤية والمنهج؛ لاستحالة تكون العمل الفكري [والإبداعي] المتين بدونها⁽¹¹⁾، وواصل حديثه مبينا أن الحضارة الإنسانية اقترنت بسلسلة متداخلة ومتكاملة قوامها الرؤى الواضحة والأفكار المنظمة، وهي التي تكون المعارف والعلوم والآداب وغير ذلك، فالرؤية هي خلاصة الفهم الشامل للفاعلية الإبداعية، أما المنهج فهو سلسلة العمليات المنظمة (...) المستخلصة من آفاق تلك الرؤية، للاقترب إلى الأهداف التي تنطوي فيها الفاعلية الإبداعية، ومن أسباب حضور المنهج ما يلي⁽¹²⁾:

- تنظيم أطراف الرؤية، وتحديد آفاقها وكشف سبل الاقتراب إلى الموضوعات الأساسية في حياة الإنسان.
- كما أن تراكم المعارف والأفكار وقضايا الإبداع جعلت حضور المنهج لا غنى عنه، فبغيا به تصبح عبئا ثقيلا لا يمكن وصفها وتحليلها وتأويلها.

أما الفاعلية الإبداعية فهي واحدة من أخصب الظواهر الإنسانية وأكثرها قدرة على إثارة احتمالات التفسير والتأويل في كيفية تكوينها، وفي عناصرها الأساسية، وفي ما تنطوي عليه من دلالة وما تؤديه من وظائف، وما يتعلق بقضايا التأثير والتأثير⁽¹³⁾.
وجملة الأمر فالرؤية في القنوات الفضائية هي التصور أو الخطة التي يضعها واضعو أو مؤسسو القناة معتمدين في وضعها على الأهداف التي انطلقوا منها أو سطورها.

أما المنهج فهو جملة الأساليب التي تترجم في برامج ونشطة من أجل تحقيق الأهداف المرجوة والمقاصد المأمولة، وحتى يتأتى لها هذا يشترط فيها أن تتماشى مع الرؤية وأن تكون خادمة لها، كما يشترط فيها أن تصاغ بإبداعية متفردة.
وإذا ما ألقينا نظرة على القنوات الفضائية العربية ألقيناها في الغالب لا تخرج عن ستة أنواع نوجزها في المخطط الآتي:

خارطة القنوات الفضائية العربية





فالمتمثل في القنوات الوطنية الحكومية يجدها في الغالب تحمل أسماء البلدان والأوطان نحو الجزائرية، المغربية، الجماهيرية، فلسطين، المصرية... وبعضها حمل أسماء الحكام نحو: قناة محمد السادس للقرن الكريم، ثم يلفيها تحمل ألوان أعلام بلدانها وراياتها، كما أنها في الغالب تربط المتلقي بتاريخه من خلال الخطوط العربية التي كتبت بها نحو: كتابة "الجزائرية" بالخط المغربي، وبالاستناد إلى هذا كله قد نقف على المقصدية المضرة والتي في أغلبها لا تخرج عن ما يلي:

- تنمية الحس الوطني والمواطنة.
- الحفاظ على الهوية.
- الحفاظ على التراث والمتجلية في حفاظ كل من قناة الجزائرية وقناة محمد السادس على الخط المغربي- كما هو باد في الشعارات الآتية-، ونحو حفاظ قناة محمد السادس على رواية ورش والقراءة الجماعية وإحيائها للمتون العلمية.
- ربط المحكومين بحكامهم ويبدو ذلك جليا في قناة محمد السادس وإقران اسمه بخدمة القرن الكريم.
- ربط المواطنين بعلامهم وذلك ما نلاحظه في قناة محمد السادس والتي حاولت أن تظهر علماء بلدها من أجل أن تواجه المعرفة المتعددة ومن أجل أن توحد الأفكار، ويلبس هذا في برنامج (الكراسي العلمية - بصائر ونشائر).

ولكن الأمر الذي يبعث على الحيرة هو أنك تجد على مستوى الوطن الواحد عدة قنوات، أولى وثانية وثالثة وربما أربعة وهكذا. وهذا التعدد يجعلنا نقف على عدة افتراضات منها: - أنه تعدد ناتج عن غياب رؤية. - أو أنه تعدد ناتج عن اضطراب رؤية. - أو أنه تعدد ناتج عن تعدد سببه اختلاف المتلقين. ولا شك أن هذا التعدد يفضي بنا إلى جمهور مشتت الذهن مبلبل الأفكار هش المعتقدات، علما أن من وظائف أجهزة الإعلام التوحيد والمشاركة وذلك بـ "توفير رصيد مشترك من المعرفة يدعم التأزر، ويمكن أعضاء المجتمع من التعايش والعمل المشترك"⁽¹⁴⁾. والأمر الآخر المحير هو أن برامج هذه القنوات ومناهجها لا تخدم المقاصد المذكورة سلفا ولا تمت لها بصلة، وهذا يشي بعجز القائمين على هذه القنوات والآييف نفس وجود برامج لأفلام مدبلجة وافدة وهذا ما يدل على غياب المنهج. أما القنوات الإخبارية فمهمتها نقل الخبر وعليها يُعول في ذلك، وستقف هنا على ثلاث قنوات جعلت نقل الأخبار ديدنها وهي (الجزيرة، العربية، والعالم...).



العربية



فالجزيرة تعرف بالظهور والبروز والارتفاع، وكأنها قناة جاءت لتعلو بأخبارها علو الجزيرة وارتفاعها، وتثبت في مواقعها ثبات الجزيرة وصلابتها وسط المياه المتوجة، وتتميز وتبرز في آرائها بروز الجزيرة وسط المياه المحيطة بها. وبالمقابل نجد العربية التي يبدو جليا من خلال اسمها أنها تعزف على الوتر القومي لتأتي قناة العالم التي حملت اسما يوحي بالشمول، وكأنني بها جاءت لتغطي أخبار العالم بكامله أو كأنني بها ترنو إلى أن توصل أخبارها للعالم. وإلى جانب القنوات الإخبارية نجد الرياضية حاضرة حضورا قويا في أوساط الشباب وبالموازاة تقف القناة العبدية التي اتخذت من المرأة وجسدها وسيلة لاستقطاب النفوس الضعيفة وشيدت قصر الغواية ووقفت حجر عثر أمام القنوات الهادفة التي تسعى إلى نفع المجتمع وتغييره نحو الأحسن والأفضل وقيادته إلى بر الأمان.

القنات الإسلامية الرؤية الدقيقة والمنهج الواضح والمقصد المأمول:

لعل المتأمل لتسميات بعض القنوات الإسلامية والمتتبع لبرامجها يشاطرنا الرئي في أنها تتميز برؤية دقيقة، ومنهج واضح ومقصد مأمول؛ ومن أجل تبرير هذا الزعم سنحاول استنطاق شارات بعض هذه القنوات وقراءة تسمياتها والكشف عن المعاني الخفية والمقاصد المضمرّة في شاراتها وتسمياتها والألوان الغالبة فيها. ومن هذه القنوات التي سنجعلها ميداناً للدراسة والتحليل ما يلي: (اقرأ، الرسالة، الرحمة، الناس، الحكمة، الأمة، الفجر) وغيرها كثير، فساعة ساعنا لهذه التسميات يبرز جلياً الحضور الديني أو ما يعرف في أوساط النقاد بالتنصّص الديني، فكل هذه التسميات لها تعلق وتداخل أو تواصل ديني إما مع الكتاب القرن الكريم وإما مع الحديث النبوي الشريف.

في التسمية حضور ديني بارز يعود بنا إلى غار حراء؛ أي إلى اللحظة التي نزل فيها جبريل عليه السلام حاملاً خطاب الله إلى النبي ﷺ يدعوه ويوجهه إلى القراءة ولم يوجهه إلى الصلاة ولا إلى أحد العبادات الشعائرية قال تعالى:

• **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {1} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ {2} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {3} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {4}** [العلق: 1-4]، فالقراءة أساس أو مفتاح فهم الكون، فهذا الأمر أو هذا الإرشاد والتوجيه الإلهي لم يحدد المقروء وعليه ندرك أن القراءة قراءتان؛ قراءة في الكتاب المسطور وقراءة في الكتاب المنظور؛ أي في العالم المنظور، وكلاهما قائد ودليل إلى الله، فإذا قرأ الإنسان لا يكون إلا مستقيماً ولا ينقاد إلى منهج الطغيان، وإذا قرأ الإنسان لا يكون إلا عدلاً يحقق الغاية التي خلّق من أجلها.

فالقراءة بنوعها التي تحسن الناس وتوجههم إلى مكارم الأخلاق، وبالقراءة في الكتابين -المسطور والمنظور- يقوى الإيمان، ولهذا نقف على شعار (قوي إيمانك) الذي ترفعه هذه القناة، وهو شعار يرتبط ارتباطاً وثيقاً باسم القناة، فبالقراءة يقوى الإيمان ويبتعد الإنسان عن الطغيان.

أما عن لون شارتها "اقرأ" فقد التقى فيها اللونان الأبيض والأخضر، وكل منهما دلالة اجتماعية في التراث الديني تتماشى مع رؤية القناة، فاللون الأبيض ورد في القرن الكريم إحدى عشرة مرة، ورد في بعضها بمعناه الحقيقي وبعضها الآخر رمزا للصفاء والنقاوة، أو رمزا للفرز في الآخرة نتيجة العمل الصالح⁽¹⁵⁾. أما اللون الأخضر فيُعتَمَلُ في العقيدة الإخلاص والتأمل الروحي⁽¹⁶⁾ كم أنه يمثل التجديد والنمو⁽¹⁷⁾، واللونان يلتقيان في معنى واحد وهو الصفاء والإخلاص، فالعمل إن لم يكن صافياً خالصاً لوجه الله خسر الإنسان دينه وخرته.

قناة الرسالة:

في تسميته هذه القناة دقة متناهية تتمثل في الحضور الديني والحضور اللساني، وكذا الحضور الإعلامي الاتصالي، ففي الرسالة إشارة إلى رسالة الله، إلى الرسالة المحمدية التي أمر بتبليغها قال تعالى: • **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ...** [المائدة: 67]، ومُرّ أمته بعد ذلك بالبلاغ، فقال ﷺ «بلغوا عني ولو آية»، وفي التسمية يتجلى الحضور اللساني والإعلامي الاتصالي، فمعلوم أن الرسالة أحد أركان العملية التواصلية وهي التي تتوسط بين المرسل والمرسل إليه، وبهذا نقف على أن في التسمية وسطية ورسالة الإسلام رسالة وسطية، وسطية في عقائدها، وسطية في عباداتها ومعاملاتها، وسطية في سلوكها، وبرامج هذه القناة تتماشى مع تسميتها، ومن ذلك نذّر برنامج "الوسطية" وكذا برنامج "بني وبينكم"، وكأنه يريد القول "بيني وبينكم رسالة" وكذا برنامج "الكلم الطيب" والكلم الطيب رسالة من العبد إلى ربه قال تعالى: • **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** [فاطر: 10].

علاوة على هذا فرمز القناة يحتوي على خمسة خطوط، وكأنها تقابل أركان الإسلام الخمسة، وأركان الإسلام كلها رسالة، فالتوحيد رسالة، والصلاة رسالة، والزكاة رسالة، والصوم رسالة، والحج رسالة، فكلها رسائل للمسلم ولغير المسلم، فكل هذه العبادات الشعائرية تنهى المسلم عن الفحشاء وتحمله على فعل الخيرات؛ ليقدّم رسالة بسلوكه المستقيم،

والزكاة تقدم رسالة لغير المسلم عن هذه الأمة الموحدة، والحج يقدم رسالة للعالمين جميعا باجتماع الملايين ومن كل فج في مكان واحد وفي زمان واحد وقد تجردوا عن الدنيا كما تجردوا من الثياب والمحيط، وكل هذا نجده مختصرا ومختزلا في العبارة التي جعلتها هذه القناة شعار من شعاراتها ألا وهي عبارة "عبادتك رسالة"، وحيانا يرد رمزها ملتحم الأجزاء وكأن هذا يوحى أن الأركان الخمسة مترابطة أو بناء واحد. وتشارك هذه القناة مع قناة أقر في اللون الأخضر، فقد اختارت اللون الأخضر لشارتها كما أنه الطاغية والغالب في منتجاتها وراجمها، فقد سبق القول إن اللون الأخضر يمثل الإخلاص ويمثل التجديد والنمو.

وبالإضافة إلى النمو يدل الأخضر على الحياة والأمل والنبل وهو لون كثير الوجود في الطبيعة، في المراعي والغابات والحقول وكلنا يشعر بما للخضرة من تأثير حسن في نفوسنا ونيف ترتاح أعصابنا إذا حل الربيع، (...) والأخضر هو اللون المفضل في القرن الكريم حيث يهتم به حتى شغل 8 مرات في مسائل وجوانب خيرة نافلة يقبل عليها الناس ويرغبون فيها خلال دنياهم وتخترتهم، (...) ولذا فقد استمد الصالحون شاراتهم الخضرة في أحوال الدنيا والآخرة يحبونه منظرا وليس لباسا (...) ألا يرتدي الأطباء الجراحون ومعاونوهم اللباس الأخضر راحة لهم ولمرضاهم واستشعارا منهم ولهم بتخفيف الآلام والأوجاع⁽¹⁸⁾، كما أنه لون الجنة وحسبنا أن نعلم أن مواضع ثلاثة وصف الله فيها نعيم أهل الجنة في انتقاء لفظي يعبر عن حالات الرضا وإسباغ النعيم المادي والمعنوي على هذه الأحوال، فقد لبس أهل الجنة أنواع الحرير بلون واحد هو الأخضر [الكهف: 31] و[الإنسان: 21] أما الموضع الثالث فهو أبهى حالة يكون عليها أهل الجنة من جمال المنظر والانتقاء على * رَقِيفٌ خُضْرٌ وَعَبْقَرِيٌّ حَسَانٌ * [الرحمان: 76].⁽¹⁹⁾

أما التجديد الذي يدل عليه الأخضر، فنجد ماثلا في القناة، ويتجلى بوضوح في العنوان الفرعي لها والممثل في الرسالة، إبداع وُصالة، فالتجديد متجل في الإبداع. وفي هذا العنوان جمع وتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وكأن القناة أخذت على عاتقها تبليغ قيم الإسلام الأصيلة بإبداع؛ أي تبليغه بإبداع لا بابتداع والفرق بين اللفظتين - الإبداع والابتداع - هائل، ويبرز الجمع بين الإبداع والأصالة بوضوح في الصورة المتحركة ألا وهي صورة الجمل الممثل للأصالة الذي يتحرك وتزداد حركته إلى أن يخلق طائرا كما تطير الطائفة، وبهذا تكون الأصالة ممثلة في الجمل والإبداع ممثل في الطائفة.

قناة الرحمة: قناة اشتقت من صفتي الله الرحمان والرحيم اسما لها، وكذا من دعوة النبي ﷺ ومنهجه الموصوف بالرحمة المهداة، وكذا من منهج الدعاة الذي ساروا على منهجه ﷺ ودعوا إلى تعليم الحق ورحمة الخلق، وقد وردت هذه الكلمة في مواضع عديدة من كتاب الله ودعا جل وعلا إلى توافرها في التعامل، فجاءت الأحاديث تدعو إلى الرقة والرحمة بالخلق بل حتى بالحيوان والنبات.

كما أن الرحمة صفة من صفات القرن ومن ذلك قوله تعالى * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * [يونس: 57] وقوله تعالى: * وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * [الإسراء: 82]، ومن خلال هذا كله تتجلى المرجعية الدينية في اختيار التسمية الموفق، وتتجلى كل هذه المعاني المستخدمة من كتاب والسنة في رمز القناة ولونها، فقد كتبت كلمة الرحمة بالخط الكوفي، وجاءت في صورة كبيرة وباللون الأخضر، وعلا هذه الكلمة شبه كتاب، والكتاب انبثقت منه شمس، ومن ينعم النظر في مكونات هذا الرمز يجد أن الكتاب - القرن - نور، ومنه ما هو رحمة وشفاء للناس، كما أن الإسلام رحمة وضياء، ورسالته جاءت لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، أما اللون الأخضر، فقد سبقت الإشارة إلى أنه يدل على الإخلاص والتجديد، وكل هذه المعاني وجدناها ماثلة في الموقع الرسمي للقناة.

فالشمس واللون الأصفر اختزال لما جاء في الموقع الرسمي للقناة من أن قناة الرحمة ذلكم الكون المضيء الوضيء الذي يتلألأ ويتألق في سماء الفضائيات - قناة الرحمة - اسم وشعار ومنهج وغاية⁽²⁰⁾.

وفي اسم الرحمة وفي لونها جاء في الموقع الرسمي للقناة أن الرحمة "كلمة خضرة حلوة - كلمة نورانية مشرقة ومضيئة - كلمة رقاقة رقيقة كلها رقة والعطف - صفة من صفات الرحمان الرحيم"⁽²¹⁾.

وعن اللون الأخضر الذي يدل على التجديد نقف على ذلك تصريحاً في الموقع الرسمي؛ حيث جاء عن منهج القناة أن منهجها فهم الواقع والثاني فهم الواجب في الواقع، فهو منهج يجمع بين الأصالة وبين فهم الواجب⁽²²⁾، وعن الإخلاص الذي يرمز له باللون الأخضر نقف على هذا وباللفظ الذي جاء في الموقع الرسمي للقناة حيث ورد في بيانهم لغاية القناة قائلين "وإخلاص وتجرد لله نبلغ هذا الإسلام بصورته الحقيقية بشموله وكمال صفاته ونقائه لتسعد أمتنا من جديد ولنسعد بأمتنا من جديد..."⁽²³⁾.

وبهذا كله يبرز التنغم الرائع والبديع بين الرؤية وبين الشعار والمنهج والمقصد واللون وتظهر الفاعلية الإبداعية الخلاقة الأخاذة. **قناة الناس:** يفهم من هذا الاسم أن القناة موجهة للناس جميعاً؛ أي للعالمين كافة للمؤمن ولغير المؤمن على حد سواء، وكأنها جاءت لتذّر الناس بالخطاب الندائي التوجيهي المطرد في القرن الكريم الذي دعا الله من خلاله الناس للعبادة حيناً ولتتقوى حيناً آخر وللإيمان حيناً آخر وللتدبر والتأمل حيناً آخر، ومن ذلك قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الْإِلَهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْأَيَّانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** [البقرة: 21]، وقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الْإِلَهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** [النساء: 1]، وقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ** [النساء: 170] وقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ قَاسِمِعْمُوا لَهُ إِنَّ الْآيْنَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ** [الحج: 73]، والأمثلة من مثل هذا كثيرة إزاء القرن، وكلها تكشف عن المرجعية الدينية لهذا الاسم ونسفر عن المقصدية المأمولة لها.

أما رمز القناة ففي بداية الأمر كان مربعاً مقلوباً ليصير بعد ذلك قنديلاً متحركاً، والمربع يضم الناس مثلاً تضمهم الأرض، وقد لون المربع بالأزرق "وهو لون البحر الصافي والسماء الزاهية"⁽²⁴⁾، وقد انقسم المربع مثلاً سينقسم الناس في اليوم الآخر إلى قسمين: قسم في الجنة وقسم في السعير، فالقسم الأيمن من المربع لون بالأزرق القاتم وهو "كالح المنظر مقبب اللون مثل حشر المجرمين زرقة" [طه: 102]، والجزء الأول من كلمة الناس ألا وهو (الناس) جاء باللون الأحمر، وهو رمز النار والاشتعال، ويستعمل في بعض الأحيان للدلالة على الإثم والخطر⁽²⁵⁾، والقسم الأيسر من هذا المربع اكتسى باللون الأزرق المريح الصافي الخفيف الرقيق، ويوجد في قبة السماء وفي صفحة الأمواج ومن دلالاته الخلود⁽²⁶⁾. وكنت أتمنى أن يكون القسم الأيمن من الرمز ملوناً بالأزرق الفاتح- عكس الصورة التي أتى عليها- حتى يدل على أصحاب اليمين. أما تحول المربع إلى السراج، فرمياً لارتباط السراج بالإضاءة والإنارة، وكأن القناة جاءت لتخرج الناس من الظلمات وتوجههم إلى النور، وهذا ما نجده في شعارها المحمول ألا وهو "قناة الناس شاشة تأخذك للجنة" وتتجلى الشمولية في هذا الشعار، إذ لا تأخذ بيدك فقط، وإنما تأخذك بكاملك إلى الجنة.

قناة الحكمة: ويظهر المظهر الديني جلياً في تسمية هذه القناة وكأن القناة أخذت الحكمة رؤية ومنهجاً وقصداً، ففي التسمية تذكير بالمنهج الأقوم للدعوة إلى الله، فقد أمرنا الله أن ندعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة قائلًا: **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...** [النحل: 25]، وتتعلق تسمية القناة مع آيات كثيرة منها قوله تعالى: **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** [البقرة: 129]، أي يعلمهم القرآن ويعلمهم الفهم فيه، والحكمة سبحة ونور من الله تعالى⁽²⁶⁾ قال تعالى **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ** [البقرة: 269]، وإذا كانت الحكمة هي "طاعة الله والفقه في الدين والعمل به"⁽²⁷⁾، فقد قال النبي ﷺ "من يريد به الله خيراً فليفقهه في الدين" وبالإضافة إلى هذا فقد ألحقت قناة الحكمة بكلمة الحكمة شعار "وإن تطيعوه تهتدوا"، وهو شعار مأخوذ من آية قرآنية قال فيها الله تعالى: **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** [النور: 45]، ولنا أن نقول إن طاعة الله وطاعة رسوله وإتباعه هو عين الحكمة، أما لون الرمز؛ بل اللون الغالب على القناة فهو اللون الأزرق، وهو "رمز الصدق والحكمة"⁽²⁸⁾، كما أن اللون الأزرق يرتبط "بالطاعة والولاء والتضرع والابتهال"⁽²⁹⁾، وكأنني بالقناة أثرت اللون الأزرق تحرياً للصدق في رسالتها، ودعوة منها إلى الحكمة في الدعوة والمنهج؛ بل في الأشياء والحياة بكاملها، لكونها صفة من صفات الله حري بالخلق أن يتحلوا بها.

قناة الأمة:

يبدو أن هذه القناة اختارت اسماً له دلالة دينية ثقيلة والمحملة بالمعاني الجليلة، فمن المعاني التي تحملها الأمة في قاموسنا الإسلامي "الأمة الوسط" التي قال فيها الله تعالى: **• وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** • [البقرة: 143]، ومن معانيها "الأمة الخيرة" التي قال فيها الله جل وعلا: **• كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** • [آل عمران: 110]، وتطلق الأمة كذلك على العلماء قال تعالى: **• وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** • [آل عمران: 104]، ومعناه أن الأمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء⁽³⁰⁾، كما أن لفظ الأمة يطلق على الرجل الجامع للخير قال الله في هذا ابن إبراهيم كان أمة قائماً لله • [النحل: 120]، وقد قال ابن مسعود في هذا، إن الأمة هو الذي يعلم الناس الخير⁽³¹⁾، وكل هذه المعاني تلتقي في قناة الأمة الموجهة لنا نحن عموم المسلمين فالأمة لا تكونوا أمة وسطاً ولا أمة خيرة إلا إذا أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي منها أن تكون عالمة بما تأمر عالمة بما تنهى، ولن تكون كذلك إلا إذا كان كل فرد فيها أمة يدعو الناس ويعلمهم الخير على بصيرة.

قناة الفجر: اقتبست قناة الفجر اسمها من زمن أقسم الله به، قائلًا: **• وَالْفَجْرُ وَلَيْلٍ عَشْرٍ** [الفجر: 01-02]، ومن زمن ارتبط به القرن؛ أي فعل قراءة القرن وتثنى الله على من يتصفون أو يقومون بهذا الفعل، فقال: **• أَقِمِ الصَّلَاةَ لِلْمَلِكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** • [الإسراء: 78]. وإذا كان زمن الفجر ارتبط مرتين بالقرن، فإن هذه القناة ارتبطت أو ندبت نفسها لخدمة القرن، وإيصاله إلى الناس غضا طريا كما أنزل من خلال إظهار قراءاته، ومشاهير قرائه، وكأن هذه القناة ومثيلاتها نحو: قناة الحافظ والمجد للقرن الكريم وقناة العفاسي التي جعلت شعارها « للذائرين والذائرات » وهو شعار مستنبط من القرن وهو الذكر والكتاب والفرقان – روا أن فجر هذه الأمة لن يبرز إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والإقبال عليه – القرن - تلاوة وتديرا وعملا.

القنوات الفضائية الإسلامية ومبدأ التكامل بينها: لما تأملنا في أساء القنوات الإسلامية وفي برامجها التي تطلعا على مناهجها لمسنا أنها متكاملة؛ أي كل قناة تكمل الأخرى، وسأحاول أن أبين التكامل بين عينة أخذتها ورتبتها اعتباطاً لأجد في النهاية أن هذا الترتيب قد يكون منطقياً وتمثل هذه العينة فيما يلي: «اقرأ» الرسالة ← الرحمة ← الناس ← الحكمة ← الأمة ← الفجر ← المجد ← الراية»

فبالقراءة في الكتابين المسطور والمنظور يكون الإيمان بالله والخوف منه، وبالعالم يفهم عن الله مراده، وعن النبي رسالته، وبالعالم والقراءة يدرك الإنسان أنه مطالب بتبليغ الرسالة، وتبليغ الرسالة يقتضي منه علماً؛ أي أن يدعو إلى الله على بصيرة قال تعالى: **• قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ** • [يوسف: 108]. وتبليغ الرسالة للناس، أي للعالمين يقتضي رحمتهم قال تعالى: **• وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** • [الأنبياء: 107]، ودعوة الناس تقضي حكمة، قال تعالى: **• ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** • [النحل: 125]، والرحمة بالناس حكمة، والدعوة والرحمة والحكمة هي صفات الأمة الوسط؛ أي الأمة الخيرة التي تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وصفات الرجل الأمة الذي يعلم الخير، علماً أن هذه الخيرة لا تتأق لها إلا إذا قامت بواجباتها، وفي المقام نفسه فإن هذه الأمة لا تقوم لها قائمة ولن يبرز فجرها ولن تستعيد مجدها إلا إذا عادت إلى كتاب ربها قراءة وتلاوة وفهما وتديرا وعملا، فلا مناص أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وإذا ما هي عادت إليه وإلى سنة نبيه ارتفعت راية الإسلام مرفرفة خفاقة.

خاتمة:

صفوة القول هذا ما استطعنا أن نصل إليه من خلال هذا الفعل القرائي التأويلي، فإن أصبنا فمن الله الحكيم المنان، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وحسبي أنني أشرت إلى جانب جدير بأن يدرس ويقرأ ألا وهو الجانب الإعلامي، أو خطاب الصورة الإعلامية، أو الشعارات الإعلامية، وفي الأخير نخلص من دون ريب إلى أن أي شعب أو وطن ينشد التطور والتقدم والرفق، فلا بد أن يرقى بإعلامه، ولا يكون ذلك إلا بتخطيط دقيق، ورؤية واضحة، وتماشى المناهج والبرامج مع تلك الرؤية، وصياغة البرامج والشعارات والرموز بفاعلية إبداعية فريدة تحقق المقاصد المأمولة.

الهوامش والإحالات:

- منى سعيد وسلوى إمام علي، الإعلام والمجتمع، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2004، ص:13.
- مصطفى حميد كاظم الطائي، الفنون الإذاعية والتلفزيونية وفلسفة الإقناع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007، ص:9.
- منى سعيد وسلوى إمام علي، المرجع السابق، ص:145.
- ينظر: مصطفى حميد كاظم الطائي، المرجع السابق، ص:71.
- المرجع نفسه، ص:71.
- المرجع نفسه، ص:72.
- منى سعيد وسلوى إمام علي، المرجع السابق، ص:70.
- عائض القرني، فاصل إشهاري، قناة الفجر، يوم: 07/09/2010.
- مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، موسوعة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية ينشرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص:179.
- 10 - مصطفى حميد كاظم الطائي، المرجع السابق، ص:74.
- 11- عبد الله إبراهيم، المتخيل السردى، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص:6.
- 12- المرجع نفسه، ص:5-6.
- 13- المرجع نفسه، ص:5-6.
- 14- مصطفى المصمودي، المرجع السابق، ص:173.
- 15- أحمد عمر مختار، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1997، ص:221.
- 16- المرجع نفسه، ص:225.
- 17- المرجع نفسه، ص:229.
- 18- نذير حمدان، الضوء واللون في القرن الكريم، الإعجاز الضوئي اللوني، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 2002، ص:49.
- 19- المرجع نفسه، ص:49.
- 20-21-22-23- الموقع الرسمي لقناة الرحمة الفضائية. www.alrahma.tv
- 24- نذير حمدان، المرجع السابق، ص:49.
- 25- المرجع نفسه، ص:46.
- 26- الموسوعة الجزائرية للقرن الكريم برواية ورش عن نافع من طرف الأزرق، أصدرت برعاية فخامة رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة وإشراف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ينظر تفسير الآية.
- 27- الموسوعة الجزائرية للقرن الكريم، ينظر تفسير الآية.
- 28- نذير حمدان، المرجع السابق، ص:49.
- 29- أحمد عمر مختار، اللغة واللون، ص:154.
- 30- الموسوعة الجزائرية للقرن الكريم، ينظر: تفسير الآية.
- 31- الموسوعة الجزائرية للقرن الكريم، ينظر: تفسير الآية.